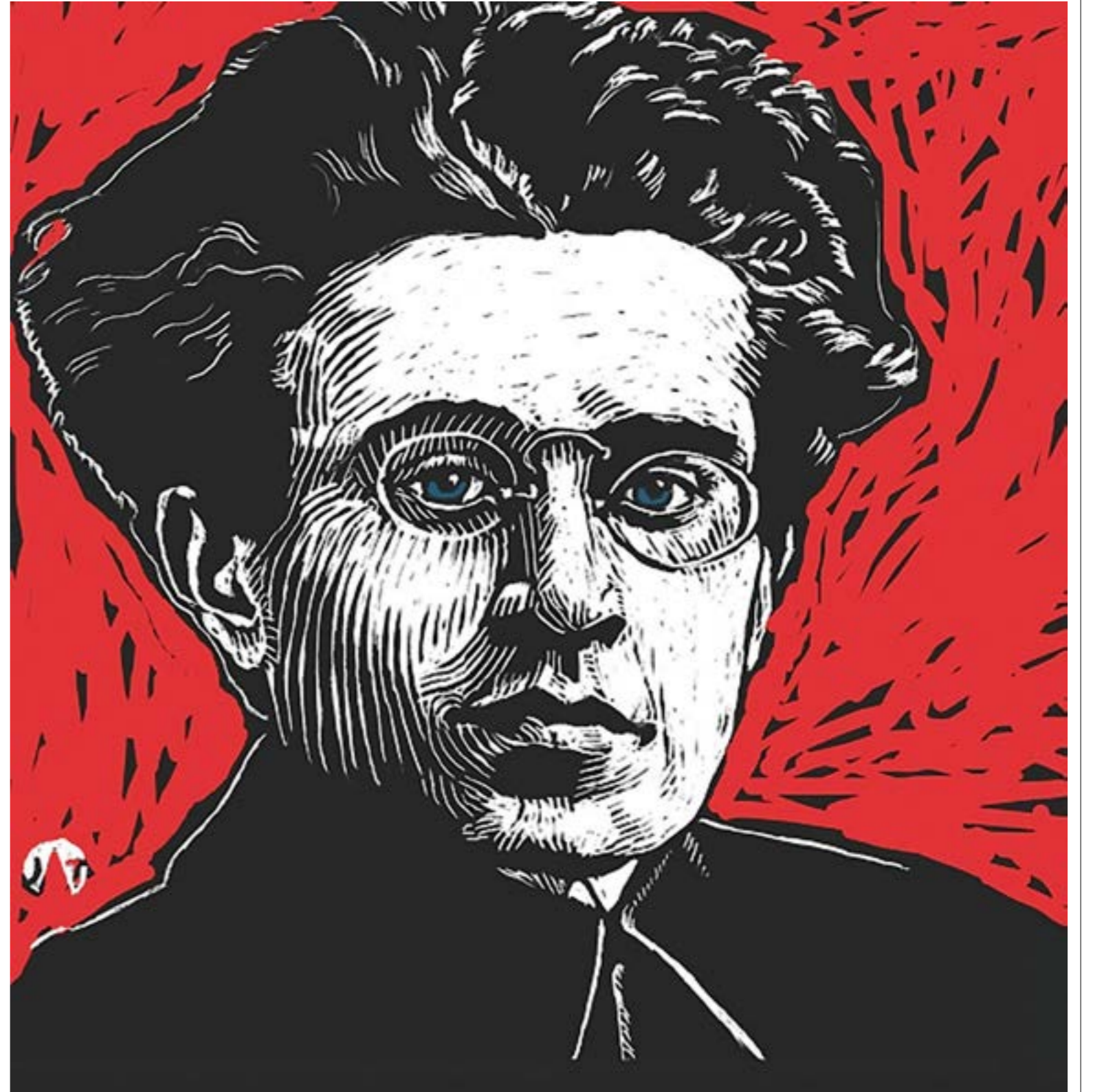


فلسفة

# أن تقرأ فوكو ـ غرامشي معاً: إعادة نظر لازمة في فلسفة الهيمنة



أنكب غرامشي على دراسة صناعة الهيمنة من قبل النخبه



درس فوكو في البء، كيفية تحضير أساق المعرمة الأفراد للظوم لهيمنة المجتمع

لا يمكن فهم فلسفة القوة أو طرائف عمل الهيمنة في المجتمعات ما بعد الرأسمالية من دون التمريح على أعمال فوكو وغرامشي. لكن معظم من درسوا هذين المفكرين العظيمين، عبروا أفكار وخلصوا إلى جوانب مسكوت عنها في فلسفة كل منهما. هذين المفكرين العظيمين، عبروا أفكار وخلصوا إلى جوانب مسكوت عنها في فلسفة كل منهما. هذين المفكرين العظيمين، عبروا أفكار وخلصوا إلى جوانب مسكوت عنها في فلسفة كل منهما. هذين المفكرين العظيمين، عبروا أفكار وخلصوا إلى جوانب مسكوت عنها في فلسفة كل منهما.

واحد لغبر المتخصصين والعارفين بلغة غرامشي، والظروف والمناخات التي خط نصوصه في ظلها. وعلى الرغم من خلفيتهما الماركسية المشتركة ـ كان فوكو عضواً في الحزب الشيوعي الفرنسي في بداية الخمسينيات وأنصرف عنه لحظة غياب ستالين وتعالى الجدل بشأن حقيقة ما كان يجري وراء الستار الحديدي في الاتحاد السوفياتي، بينما كان غرامشي مؤسس الحزب الشيوعي الإيطالي ونائباً منتخباً عنه في البرلمان حين اعتقاله في 1926 على يد الفاشيست ـ فإنه لا يعتقد بأن فوكو حصل على فرصة حقيقية لقراءة غرامشي، مع أن اليساريين الفرنسيين كانوا الأسبق إلى نقل «دقات السجن» من الإيطالية في وقت مبكر (1953) قبل غيرهم من الأوروبيين (ترجمت أجزاء من الدفاتر إلى الإنكليزية للمرة الأولى في 1970). إذ أن اهتمامات فوكو حينها أخذته إلى مكان آخر تماماً بعيداً عن السياسة المحض، وعن فرنسا بعدما قبل بوظيفة مدرّس للغة الفرنسية في أوبسالا في السويد، وغرق هناك في قراءة مكتبة هائلة من التقارير والدراسات الطبية النادرة التي تراكمت في مكتبة المدينة منذ القرن السادس عشر، وقد وضع على

يجدون بشكل متزايد نقاط التقاء وتقاطع مثيرة للاهتمام بين الفوكوية والغرامشية وإن في جوانب متفرقة منهما، لعل أهمها ـ ربما من دون إعلان صريح ـ كان ثلاثية «الإمبراطورية» التي وضعها مايكل هاردت وأنطونيو نيغري (نُشر الجزء الأول منها عام 2000) فجاءت كمعمار مشغول من نسج فوكوي ـ غرامشي مشترك. لكن اللوحات التحليلية المبهرة لهاردت نيغري عن سالات الإمبراطورية المعولة المعاصرة، صرفت الأنظار عن وحدات البناء النظري لها، وانشغل المتقنون بتبني احتياجاتهما أو معارضتهما من دون اعتناء بالسر الذي نشأ عن التقاء غير ملعن ـ بين المدرستين الفكرتين. وحدها الفيلسوفة النسوية جوان كوكس كانت قد صاغت مجادلة مباشرة وصريحة في الدعوة إلى استحضار الفوكوية والغرامشية معاً كجناحين متكاملين لنظرية نقدية معاصرة وأدوات تحليل وتفكيك للهيمنة تليق بمستوى تعقيد حضورها في القرن الحادي والعشرين. رغم أنها لم تقدم على تنفيذ تلك القراءة بنفسها، إلا أنها سجلت أنها أثناء ترسيمها لمشروعها النظري حول قضايا النسوية وصراعات الجندر، وجدت نقاط تقاطع والتقاء مثيرة بين الفكرين فسرت في ظلها عديداً من ظواهر القمع والخضوع في مجتمعات الرأسمالية المتأخرة لم يكن ممكناً لها تفسيرها باعتماد أحدهما دون الآخر. وهي ترى أنه يمكن تعويض جوانب ضعف الغرامشية بأدوات فوكوية، بينما لا تكتمل نظرية الخطاب عند فوكو من دون تصور غرامشي الخصاب من الهيمنة الأتية من المركز ـ الفوكوي. دعوة كوكس، لم تذهب ادراج الرياح، وقد نجحت بالفعل في لفت انتباه الباحثين لإمكان التجسير بين المدرستين دباكتيكياً وخلق إطار نظري أوسع في دراسة صناعة «الحقيقة» يستوعب المعطيات المستجدة في عالم السياسة اليوم بعد تطور تكنولوجيات الرقابة والتواصل الحديثة، والكشف عن جبال من الوثائق التاريخية التي إما نُشرت بعد مرور قترات من الانتظار الطويلة المطلوبة من الحكومات الأرشييف البريطاني والفرنسي كما أرشييف الاتحاد السوفياتي السابق، أو تُسرت عبر موقع ويكيليكس وغيره (الحالة الأميركية). لكن علماء السياسة المعاصرين من أمثال لاكلو، وموفي، وتورفينغ وراهاكربيشان الذين حاولوا إطلاق مثل هذه المهمة الجميلة، لم ينجحوا بعد نظراً إلى خلفياتهم النظرية المنحازة لإحدى المدرستين دون الأخرى بحكم هول منصبه هناك بعدما قدم قراءات غرامشية الطابع في تحليل الثقافة المعاصرة. قرارات أصبحت جزءاً لا يتجزأ من منهجية النقد الثقافي والفني والإعلامي)، ناهيك بغزلة التخصص بين من قرأ فوكو وتأثر بالفضاء النظري الفرنسي، والغرامشيين في بريطانيا ولاحقاً في الولايات المتحدة. بل إن أحد تلاميذ فوكو وضع فكرة تحريص تكامل في ذم الفكر الغرامشي (ريتشارد ديه: «غرامشي قد مات») بوصفه استمراراً إيطالياً للقبول الماركسية الجاسدة، وكتب أحدهم (نورمان جيراس) مقالة منطوية في السحالة الربط منهجياً بين الرجلين.

مع ذلك، فإن مفكرين معاصرين أساسها كتابه عن «تاريخ الجنون»، ولاحقاً عن نشوء الممارسة الطبية المعاصرة، ما دفعه في مسارات بحثية موضوعها استكشاف كيفية تحضير أنساق المعرفة الأفراد للخضوع لهيمنة المجتمع، بدلاً من كيفية صناعة الهيمنة من قبل النخبة كما عند غرامشي. ولعله ينبغي أيضاً التحديه إلى حقيقة أن دراسات الهيمنة في الفضاء الأنغلو ساكسوني بقيت محصورة في أبراج وتجارب محدودة نسبياً، وكثيراً ما تعرضت للتضييق من قبل شرطة الأفكار في جامعات الغرب (أغلق قسم دراسات الثقافة في «جامعة بيرمنغهام» بعد وقت قصير من مغادرة البروفيسور ستيفوارت هول منصبه هناك بعدما قدم قراءات غرامشية الطابع في تحليل الثقافة المعاصرة. قرارات أصبحت جزءاً لا يتجزأ من منهجية النقد الثقافي والفني والإعلامي)، ناهيك بغزلة التخصص بين من قرأ فوكو وتأثر بالفضاء النظري الفرنسي، والغرامشيين في بريطانيا ولاحقاً في الولايات المتحدة. بل إن أحد تلاميذ فوكو وضع فكرة تحريص تكامل في ذم الفكر الغرامشي (ريتشارد ديه: «غرامشي قد مات») بوصفه استمراراً إيطالياً للقبول الماركسية الجاسدة، وكتب أحدهم (نورمان جيراس) مقالة منطوية في السحالة الربط منهجياً بين الرجلين.



بريجيت باردو عام 1971



ديفيد بوهوي عام 1974

## تيري أونيل: انطفاً «صياد» المشاهير

أسهمت عدسة تيري أونيل (1938 ـ 2019) في صناعة الألق الصري للثورة الثقافية والاجتماعية في لندن الستينات. ولاحقاً، بالكام نجا أحد من مشاهير نجوم الستينيات والسبعينات في العالم من كاميرون، أكان في جلسات تصوير خاصة أم في لقطات الباباراتزي أشهرها صورة الممثلة الفرنسية بريجيت باردو، وهي تضع السيارة بين شفتيها. أخيراً، رحل المصور البريطاني، بعد صراع مع السرطان، في منزله في لندن، مختتماً بذلك رحلة فوتوغرافية استمرت حوالي ستين عاماً. اصطاد فيها أشهر نجوم السينما والموسيقى والثقافة الشعبية خصوصاً في فترة الستينيات والصاخبة في أميركا وأوروبا. وصل أونيل إلى التصوير الفوتوغرافي بالصدفة. كان يحلم بأن يكون عازف درامز، فتقدم للعمل في «شركة الخطوط الجوية البريطانية»، طمأناً بالوصول إلى أميركا. للاتحاق بمشهد الجاز الموسيقي هناك، لكن الشركة منحته وظيفة مصور تقني، بعدها انتقل للعمل في جريدة «دايلي سكيتش» نهاية الخمسينيات، حيث تمثّلت مهنته



تيري أونيل أمام صورته تيلسون مانديلا

## ضلال

إعادة إحيائه عبر أساليب عزف، وتأليف جديد مع الإبقاء على بعض من أجهاته وقوالبه التقليدية. مع فرقة الموسيقية، سيرزور عزاف الترومبيت كريستيان سكوت بيروت ليقدم مساء الخميس 21 تشرين الثاني أمسية سيغفي فيها تاريخ وحاضر ومستقبل الجاز في Ballroom Blitz (الطريق البحرية ـ شمال بيروت). للاستعلام، 76/999334

«هيبلا هو طبيعة و بعد...». هكذا افتتح «مقرو المدينة» قبل المسليهم من أجواء الانتفاضة الشعبية التي تعيشها البلاد، عبر استقبال عروض موسيقية وفنية مختلفة تندرج ضمن عنوان «اليالي في حب الثورة». الليلة الأولى التي يستقبلها الترو (الحمرا ـ بيروت) مساء السبت 23 تشرين الثاني ستكون أمسية موسيقية تبدأ عند الساعة والنصف مع فرقة «موتلي كارلو»، تليها أمسية للمغنية اللبنانية ساندني شمعون سيد درويش والشهيد إمام الذي أتمه مراراً في أمسيات سابقة. وقد أعلن الترو أن حفلات برنامج «اليالي في حب الثورة»، لا تفرض مبلغاً مالياً محدداً على الجمهور لحضور أي من هذه الأمسيات الفنية، إذ بإمكانهم دفع المبلغ الذي يريدونه، من دون أن يكون عليهم الحجز مسبقاً. أعلن الترو أخيراً أيضاً عن أمسيته الثانية التي ستكون مخصصة للستاند أب كوميدي (28/11) والتي تجمع في أمسية واحدة (ابتداءً من الساعة والنصف مساءً) ثلاثة من وجوه الستاند أب كوميدي في بيروت هم شادن ووسام كمال ونور حجاز الذين سيعدون تقديم فقراتهم مجدداً عند العاشرة من مساء الليلة نفسها. للاستعلام، 76/309363



لا يتوقف كريستيان سكوت (1983 ـ الصورة) عن توسيع أفق وحدود الجاز، من خلال أسلوب موسيقي يجمع الإلكترونيات، والإيقاعات الجديدة، خصوصاً في ثلاثيته الموسيقية The Cen-Trilogy التي تتضمن اليومه tunde Adjuh (صدر عام 2012). لا يغفل الموسيقي الأميركي القادم من نيو أوليفز عن موقع الجاز الزمني اليوم مع دخول هذا النمط الموسيقي قرنه الثاني. ماذا ما دفعه إلى إعادة تقييم وقرأة الجاز اليوم من خلال



كريستيان سكوت: امسية جاز بين المس واليوم